القبليّة النقديّة في مصر ...

بقلم عبد المحي دياب

يعاني النقد الادبي في مصر أزمة عصيبة من جراء القبلية التي يتمتع بها نقادنا ، تلك القبلية التي كادت أن تطيح بكل المقاييس والموازين الادبية المتعارف عليها في الآداب العالمية ، ذلك أنه يسلك دروبا ومنعطفات غير معهودة في تقدير الاعمال الفكرية والفنية على سواء ، خلاصة ما يقال فيها انها وعرة غير لاحبة ، ولا يمكن أن تدلف بنا الى الطريق المستقيم .. ذلك الطريق الذي يسلكه النقاد الاجلاء الذين يعتبرون بحق نقادا في أدبنا العربي .. يبين لنا ذلك من تلكم الاتجاهات المتعارضة المتناقضة التي يعتنقها معظم نقادنا الادعياء الذين يزعمون التجديد ، في الوقت الذي يفتقدون فيه أولى مراحل النقد وهي القدرة على التذوق الادبي ، وقراءة النصوص الادبية قراءة صحيحة ، والقدرة على كتابة سطور تعد على أصابع اليد الواحدة عدا بلغة عربية سليمة ..

ومن هنا فانك لواجد أن كل قبيلة منهم تنظر الى الاعمال الادبية من زاويتها الخاصة ، وفق هواها ، ووفق ما يخدم العقيدة التي تعتنقها ، ولذا فانها لا ترى في أعمال اخوانها الا الجمال .. والجمال فحسب .. وتمطر القارىء بالاشياء الجميلة التي تهيلها عليه في النص الادبي الذي تتناوله لبعض أفرادها الذين تطلق عليهم تسميات ما أنزل النقد بها من سلطان .. فمن عبقري .. الى رائد .. الى موجه .. الى صاحب اتجاه .. الى صاحب مدرسة ... الى أن يتجاسر أحدهم فيدعي أننا لسنا بحاجة الى الادب العربي القديم ، لانه غث وهراء .. بل اننا في حاجة أي حاجة الى ما ينتجه الشباب من أمثاله الذين ينسجون الشعر على طريقته ، ويفهمون الحياة كفهمه لها ... وذلك في الوقت الذي لا يرى نقاد قبيلة أخرى ـ في تلك الاعمال الادبية ذاتها ـ الا العيوب التي تزين جيد تلك الاعمال ، ويسممون لك مصادر المتعة فيها ، ويجعلونك في صراع مع المؤلفين لهذه الاعمال ..

وكل من هؤلاء وهؤلاء متأثر في نقده بالصداقة الشخصية ، أو الروح الحزبية والعقائدية ..

والقبائل الناقدة في مصر كثيرة .. كثيرة كثيرة توازي تعدد الاتجاهات المتعارضة المتناقضة فيما بينها ، المتآزرة حينما تعدو عليهم عادية الرواد الاوائل (الشيوخ) كما يزعمون .. فبينا نقف مع نقاد من الشباب يزعمون انهم اشتراكيون ، وينظرون الى الحياة بعين الناقد الاشتراكي الفاحصة التي تهدف الى تحقيق المباديء الانسانية ، ومستوى من الحياة أفضل . وهاته القبلية يمكن أن نعثر على أفرادها من أولهم الى آخرهم في بيت كبيرهم الذي علمهم السحر ، أو في مكتبه بالجريدة التي يشرف على صفحتها الادبية الاسبوعية ، ولـه معهم اجتماعات تكاد تكون دورية لتنظيم العمليات الدفاعية عن بعض أفرادها ، اذا ما وجه اليه نقد ، أو تنظيم العمليات الهجومية على أعمال القبائل الاخرى الادبية ..

ونكاد نقول ان من العبث البحث عن أسماء نقاد هذه القبلية ، لان السهل الاسهل على القارىء العادي أن يصل اليها من واقع كتاباتهم ، فضلا عن قارىء « الآداب » المثقف الواعي .

واذا ما تركنا هذه القبلية ، وغضضنا الطرف عن معاركها التي سال ـ ولا يزال يسيل ـ فيها لعاب الاقلام ، نافثا على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها مبادئه وآراءه وصداقاته ، وحماقاته في بعض الاحيان .. أقول اذا ما تركنا هذه القبلية فاننا سنجد أنفسنا بالضرورة أمام قبيلة أخرى لها طابعها وسماتها المحددة ، ولها فوق ذلك اتجاه مناقض للاتجاه الاول .. وهذه القبيلة تطلق على نفسها تسمية توحي بأنها تعنى بالفن من أجل الفن وتمجد من شأن أفرادها ، وتربطهم بالادباء الغربيين مقارنة بين هؤلاء وهؤلاء حينا ، ومدعية التلمذة عليهم حينا آخر ... تماما كما كانت تصنع قبيلة الاشتراكيين الناقدة التي تيمم وجهها صوب الادباء والنقاد الشرقيين من الروس ، ومن يدور في فلكهم ..

وبما أن للاشتراكيين كبيرا مهمته تعليم قبيلته السحر ، فان لهذه القبيلة كبيرها الذي يعلمها السحر أيضا في أسمى صوره الغربية ومعانيه الامريكية ..

وبما أن للاشتراكيين نفوذا في الصحف والمجلات فان دعاة الفن للفن لهم نفوذ كذلك في الصحف والمجلات ، بل ان بعضهم نذر لله نذرا ألا يكتب كلمة بحق أو غير حق ، مهذبة أو نابية الا لتوطيد أركان الدراما .. الدراما كما يجدها في أعمال الادباء الغربيين .. ومن هنا حق له أن تكون كتابته في ركنه اليومي الذي يكتب فيه في احدى الصحف الصباحية عبارة عن مجموعة سباب وشتائم واتهامات بجهل الدراما .. الدراما .. حتى انه ليس من المبالغة اذا قلنا ان كتاباته هذه منذ سنوات تزيد على خمس ليس وراءها مباديء فنية يمكن كتابتها في عشرين صفحة من الحجم المتوسط ، في الوقت الذي تملأ شتائمه مجلدات ومجلدات ..

* * *

وبين هاتين القبيلتين توجد قبيلة ثالثة تسمى « جماعة الامناء » وهي جماعة ليس لها منهج واضح في النقد ، اللهم الا اذا صح أن نسمي البواعث الشخصية والاحن والعداوات منهجا ، ونكاد نقول ونحن مطمئنون أن هذه القبيلة قد انقض سامرها ، ولم يبق منه الا أطلال ورسوم عفى عليها الزمن ، وتتمثل تلك الاطلال وهذه الرسوم في ناقدة وبعلها ، حيث تتربع على رئاسة أحد أقسام اللغة العربية باحدى كليات الجامعة ، وتكتب مقالا

اسبوعيا في احدى الجرائد الصباحية ، ويقتعد هو مقعد أحد أعضاء مجمع اللغة العربية الراحلين عن طريق التعيين لا عن طريق الانتخاب . وهو وهي ، وبتعبير أدق هي وهو يصدران مجلة أدبية على حسب التساهيل في أوقات يمكن معرفتها بالانواء والنجوم لا بالايام والشهور .

واللون الثقافي الذي يميز الزوج وقرينته ، الادب وأشياء أخر يمكن تسميتها كما يقول المفكرون بالدراسات الانسانية .. غير أن الذي يحدث لك وأنت تقرأ لها أو له أنك تكاد تكفر بالفن .. وبالادب .. وبالدراسات الانسانية ان كانت هذه كلها تؤهل الى هذا المستوى من التفكير والاقذاع في الاسلوب . فمقالاتهما عبارة عن شواظ ملتهبة حارقة تفجع الانسان في انسانيته قبل أن تفجعه في الفن .. والادب ..

ومن الانصاف في القول أن نقول ان هذه القبيلة التي تشتمل عليها هذه الجماعة في موجزها الحديث بعد أن انفض سامرها من النقاد اللاذعين ـ على أهبة الاستعداد دائما لخوض المعارك التي تصطنعها مع كل أديب بصفة عامة ، والعظماء منهم بصفة خاصة ، لانها تختصم العظمة اذا كانت لدى غيرهم ، وتحاول أن تمركزها بالحق أو بالباطل حول أنفسهم ..

على أن هناك قبيلة رابعة سداها ولحمتها من الشباب ، الذين جمعتهم الزمالة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، واستطاعوا أن ينموا ملكاتهم ومواهبهم الادبية ، وأن يقدم بعضهم بعضا في كل مجال وفي كل مناسبة ، وأن يأخذوا بيد بعضهم في الصحف التي يعمل بها بعضهم ، وفي الاذاعة التي يعمل بها البعض الآخر ، ولذا فانهم قد كونوا لهم جمعية دعوها « الجمعية الادبية المصرية » .

وهؤلاء الشباب مجتهدون في دراساتهم وأعمالهم الادبية ، ومخلصون لبعضهم أيما اخلاص ، يبين لنا ذلك الاخلاص من دراساتهم بعضهم لبعض واضفاء الالقاب الفنية .. كرائد .. وموجه .. وصاحب اتجاه .. على بعضهم البعض . ومن هنا لا نعجب اذا وجدنا لذلك الاخلاص نتيجة تشده أنظارنا جميعا ، تتمثل تلك النتيجة في دراسة أعمال بعضهم وتقريرها على طلبة الكليات التي يعمل بها بعضهم ...

شيء واحد أريد أن أقوله هو أن هذه القبيلة متزنة في علاقاتها بالقبائل الاخرى ، ومتزنة في معالجة دراساتها من حيث اسلوبها الهادىء الوديع .. اللهم الا أن تكون العلاقة والدراسة لاعمال بعض الشيوخ كالعقاد ، فان هذا وحده كفيل بأن يقض مضاجع نقادها ، فينبرون لكي يسلبوا العقاد كل تجديد ، ولكي ينسبوا التجديد والريادة لغيره .

وليس معنى هذا أن العقاد وجماعته ـ وهي قبيلة خامسة ـ مفترى عليه، ذلك لان له بعض شعراء ، أصالتهم في الفن محدودة ، وباعهم في الشعر قصير ، ومع ذلك اختارهم العقاد لعضوية لجنة الشعر بمجلس الآداب والفنون ، وأصبحوا محكمين في الشعر والشعراء بدون حجاج مشروعة ، ولا أسانيد موضوعة ، اللهم الا أن يكون الرأي الاول والاخير للعقاد ، فهنا تكون الحجاج والاسانيد طبعا . وهؤلاء الشعراء صحفيون كبار ، يستخدمون من الصحف والمجلات منبرا لمهاجمة الغادي والرائح ، والمقبل والمدبر ، والقاعد والقائم ، والحي والميت .. يهاجمون هؤلاء جميعا اذا خرجوا على طريقتهم في الشعر أو النقد ، بل انهم ليقفون من القبائل الناقدة الاخرى ومعها قبيلة سادسة هي قبيلة المتتلمذين على الدكتور طه حسين ، يقفون من هؤلاء وهؤلاء موقف العداوة والخصام ، حتى بلغ الامر بأحدهم أن يتهم معارضيه اتهامات سياسية في قصيدة ألقاها في مهرجان الشعر الثالث بدمشق ، ونشرها في المجلة التي يعمل بها .

ولم يقف الامر عند حد مهاجمة أنصار العقاد لغيرهم، بل ان العقاد يقف كالطود الراسخ لهدم أي دعوى يظن أنها تحمل في طياتها القضاء على اللغة العربية أو الاجناس الادبية فيها ، ومن ذلك موقفه من « الشعر الحر » ، وكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية وغيرها ، غير أنه والحق يقال يتوجه بطاقاته كلها الى القضية ذاتها، لا الى أصحابها، اللهم الا من باب التعريض والتلميح لا التصريح والتوضيح ، بل اننا قد رأينا أنه منذ سنتين يعتمد على الموضوعية الى حد ما في معاركه ، ولم يعد يتناول أشخاص من يتعرض لهم بالنقد ...

أما القبيلة السادسة التي تكمن في المتتلمذين على الدكتور طه حسين ، فهذه قد لجأت أخيرا الى العمل على ترويج مؤلفاتها ، وذلك باسهام الوزارات المعنية بشؤون الثقافة والتعليم . فنشاطهم اذن قد انحصر في التقارير التي يساعدون بها زملاءهم وأترابهم ، تلك التقارير التي تأخذ بيدهم أو بيد مؤلفاتهم الى حال أحسن ، ويقصرون دراساتهم الجامعية على بعضهم ، ويتوجهون بالاهداء لاستاذهم ، الذي يدرسونه أيضا دراسة تخلع عليه صفة « الوحدانية » في الريادة والتوجيه .

بيد أننا نقول ان نقاد كل قبيلة من هذه القبائل على اختلاف نزعاتها وأطوارها في النقد يوجد بينهم وبين بعضهم اختلاف في الدرجة لا في النوع ، أي اختلاف في طريقة التناول لا في المنهج النقدي نفسه . بمعنى التفاوت في الاسلوب الذي يعالج به الواحد منهم دراسته ، أو فريسته من المؤلفين ...

* * *

ولكن ننصف الحقيقة من هؤلاء النقاد ومن أنفسنا على السواء فاننا سنتناول ناقدين من قبيلتين مختلفتي المنزع والاتجاه ، وكل منهما يشير بأصابعه الى فريق له نشاطه الادبي .. ذلك النشاط الذي يخترق به كل الصفوف ، ويتخطى كل العقبات بفضل المساعدة التي يلقاها من رفقائه في الاتجاه والعقيدة ، الذين يهيمنون على وسائل النشر والاذاعة .

وبالرغم من تناقض اتجاههما ومبادئهما فانهما يهدفان الى التنكر لكل القيم الرائدة بدافع من الحقد الدفين ، والحسد المتوارث لكل ما هو قيم أو عظيم ، ولكل عبقرية خلاقة حقيق بها أن تصعد الى القمة ، وأن تتربع على عرش الشهرة والمجد ..

أجل ، سنتناولهما من واقع منهجهما النقدي لنرى أثر القبلية في نقدهما للاخرين ، ثم ماذا يكون الحكم لو أنهما كانا موضع نقد لانفسهما بناء على منهجهما ، ان صح أن لهما منهجا .. ولعلنا نكون على حق حينما نتحدث عن ناقد من قبيلة الامناء ، لان الذي أوحى الينا بالحديث عن ناقدها ، ما في اسم القبيلة من مغريات تؤكد أهداف القبيلة في التزام الامانة في أعمالها الادبية والنقدية ..

ولعلنا أيضا نكون على حق مرة ثانية حينما نختص

بالحديث عن أكثر أعضائها نشاطا في ميدان النقـــد .. وحينئذ نرانا وجها لوجه امام الناقدة التي سبق الحديث عنها ، والتي تنشر مقالا نقديا كل اسبوع في احدى الجرائد الصباحية ، وذلك بعد أن خلي سبيل الصفحة الادبية مـن اشرافهـا ..

وخلاصة ما يقال في نقد هذه السيدة أن غايتهـــا ليست انصاف الحقيقة ، أو انصاف المؤلف ، وانما غايتها أن تمدح نفسها ، وتظهر معرفتها بكل موضوعات النقـــد ومصادره قديمة وحديثة ، واذا اشارت في النهاية الـــى الموضوع المعين الذي عنونت له ،فلن يحدث ذلك الا بعد أن تستنفد كل رصيدها من المعلومـات العامـــة ، وتؤسس ادعاءاتها على مقالة افتتاحية لتعلن بها عن نفسها ، قبـل أن تتعطف على القراء بايراد ادعاءاتها تلك ..

على انها تنظر الى المؤلفين على أنهم عبيد احسانها من المدح والعطاء ، وتنظر كذلك الى المعاصرين من الادباء على أنهم أصدقاء متواضعون ، أو على الاقل على أنهم عجلة لا قيمة لها في عربة الشهرة التي تمنحها من شاءت ، وتمنعها من شاءت ، لانها على كل شيء قديرة ، تعالت سيادتها عن كل ما يجمعها مع الناس في صفات مشتركة ، وحق لهـا الوحدانية في النقد ، ومن هنا فانها تعامل الادباء المعاصرين باهمال أو اهانة ، وتزداد تعسفا كلما زادت قوتها ، وتظن أنها قد احتكرت براعة اللفظ والحكمة ، ولذا فانها تريـد مسرحا خاليا لذاته .

وليس أدل على ذلك من أن هذه السيدة كنت وانـا أعمل بجريدة الاهرام قد وجهتها الى نقد كتاب العقاد «المرأة في القرآن الكريم » وتقديمه ، فأسفت في النقـــد حتى وصلت الى النهاية اليائسة التي وصل اليها اخـوة لها من قبل ، لانها هي وهم تظل ويظلون متماسكين بعض الشيء ، وهي وهم يدورون بالكلام ويلفون حول الموضوع بالجمـل العائمة والتعبيرات التي ينبت رأسها في ذيلها ـ وبالعكس ـ حتى اذا بلغت الحديث عن الحقائق الكبـرى ، ولمسـت بنفسها صدق الحقائق المرة ، التي لها خطورتها الكبرى ، انتزع من قلمها كل اتزان ، وحينئذ آن لابي حنيفة أن يمد رجليه ، كما يقولون .

وكان لا بد من الرد عليها آنذاك في الجريدة التـي تعمل بها معا ، وكانت معركة ... تجاوزت الصحف الـى الاذاعة ، واستمرت ثلاثة شهور .

وانتهت المعركة الى ان هذه الناقدة لم تنقد كتـاب العقاد نقدا منهجيا ، بل كان نقدها عبارة عن لمحات تراءت لها ـ من خلال عاطفتها ـ أنها ذات بال ..

وكان ذلك في أوائل عام ١٩٦٠ ، ومضت سنـوات ثلاث ، ولا تزال الناقدة ماضية في طريقها عند السفح من مدارك الاحساس والفكر ، وما زالت تظن أن النقـد ردود ومحالات ، فتأتي بمغالطات يدركها عميقـــو الاحساس ، أصفياء الفكر ، من القراء والباحثين في القضايا الفكرية .

ومن هنا نراها ، بالرغم من أن المعركة قد انتهت منذ عام ١٩٦٠ ، الا أنها تهتبل الفرصة لكي تسيء الى العقاد ، وتطعن في وطنيته حينا ، وتنعته بالجمود حينا ، وتتجاوز هذا وذاك فتتمنى ألا تراه مهيمنا على شيء مطلقا . ولعلنا بعد أن وقفنا على منهج ناقدتنا الفضلى يمكننا أن نتوجـه بالنقد ـ والنقد الهين اللين ـ لبعض أعمالها الفنية ، لنرى أن هذه التي ترفض كل شيء ، هل تثبت أمام النقد فـي أعمالها الفنية .. أم لا .. ؟ ؟

ولعل المقام يوحي لنا بذلك اللون الذي اصطنعته تلك الناقدة والذي يتمثل في تحيتها للمجاهدتين الجزائريتين جميلة وزهرة تحت عنوان « بنت الجزائـر » وذلـك في جريدة الاهرام (الجمعة ١٢ ـ ١٠ ـ ١٩٦٢) ، حيـــث تقـول :

أخت ، يا بنت الجزائر
كل ألفاظ لنا تبدو هزيلة
عندما نرفعها الى عالي مقامك

ولقد تصدى لهذه التحية الزميل محمد عيد المعيـد بكلية دار العلوم (١) ، وأثبت أنها شيء غير الشعر ، وذلك عندما قال ان السطر الثالث ليس له وزن على الاطـلاق ، وان كان السطران الاولان من البحر الرمل .

ويمضي محمد عيد فيصف شاعرة الجيل بالتخبط في وزن السطر الثالث ، اذ انه لا وزن على الاطـــلاق . ويتضح تخبطها أكثر فأكثر حينما تقول :

تمضي وفي يدها المصير .
لا في يد أخرى بباريس أو ببلاد العم سام
كنت أهتف في عناد الكبرياء
ان أختي في الجزائر
أختي جميلة ، زهرة بوظريف
والاخريات ..

فالسطر الاول عبارة عن تفعيلتين من البحر الكامل ، والسطور الثاني والثالث والخامس قد تجاوزت البحـور العروضية فلا وزن لها على الاطلاق ، وفي الرابع عـــادت لبحر الرمل ، وفي السادس تفعيلة من بحر الرجز .

(١) مجلة الآداب نوفمبر سنة ١٩٦٢

دار الاتحـاد

تقدم بكل فخر اوسع الدراسات عن اهداف العرب القومية في الوحدة والحرية والاشتراكية

وجها لوجه مع القومية العربية

تأليف **جاك بولان** ترجمة **غياث حجـار**

*

الديموقراطية

تأليف **جورج بوردو** ترجمة **سالم نصار**

*

الاشتراكية البناءة

تأليف **هنري ده مان** ترجمة **غياث حجار**

*

تطلب كتب دار الاتحاد في البحرين من الشركة العربية للوكالات والتـوزيع

*

دار الاتحاد للطباعة والنشر ـ ص.ب : ٢٢٥٩ ـ هاتف ٢٢١١٢١ ـ بـيروت

وينتهي محمد عيد الى قوله ان هذه السيدة تعبث بعقول المثقفين العرب وعواطفهم ، لان هذه التحية ليست جنسا أدبيا معينا وان خدعت القراء وظلمت الشعر الحر بكتابتها مثله ، وليست مقالا علميا يدور حول أفكار موضوعية مركزة ، نخرج منه بوجهة نظر بناءة ، بل هي انفعالات طافية بعبارات تقريرية طنانة عن (بنت الجزائر). وقد أحاطت الموضوع بعبارتين كتبتهما بالبنط العريض لاشباع ميولها الاستعراضية .

وكنا نظن أن هذه الناقدة قد فاءت لنفسها تحت وطأة نقد محمد عيد الذي جردها فيه من القيم العلمية والابداعية على سواء . غير أننا وجدناها بالامس ترثي المرحوم لطفي السيد في نفس الصفحة وبنفس الطريقة التي عابها عليها محمد عيد ، وذلك اذ تقول في رثائها . . (١)

وكنا نفهم ، وندرك ، ونعي . . .
نفهم أن المصير المحتوم . . . لا مفر !
وندرك أن الاوان قد آن . . . لا مهلة !
ونعي الاحيلة لنا في الامر . . . أي حيلة !

وتقول كذلك :

ومضى . . . . وبقينا
واستراح . . . وشقينا
ونام . . . . وسهرنا
وتخفف من كل أثقال المادة وأعباء الوجود . . .
وخلفنا اسارى القيود . . .
وخلى لنا الهموم والاشجان !

وهكذا حتى ينتهي رثاؤها لاستاذ الجيل ، ولسنا ندري عن صنيعها هذا شيئا اللهم الا أن يكون جنسا أدبيا لا نعلم عنه شيئا ، وانما هو من تجديدها هي صاحبة الجديد في كل شيء أي شيء في الادب . . والنحو . . والتفسير . . و . . و . . الى آخر واوات اللغة العربية . .

يالله . . هل هذا شعر ؟ ؟ هل هذا نثر ؟ ؟ أم ماذا يكون ؟

انه ليس شعرا ، لان السيدة لم تتقيد بمراعاة صحة وزن التفعيلة من ناحية ، وبالتزام وزن التفعيلة في رثائها من أوله الى آخره . ولم تتقيد ببحر واحد ، وانما هامت على وجهها في بحور الشعر العربي تأخذ من كل بحر شطرة ، وحينما أتت عليها جميعا ، انقضت على الكلمات فألفت منها سطورا لا تخضع لوزن أي وزن ، وانما تتمرد على المعهود المألوف الذي عهده الشعراء والفوه من الاوزان . وعلى أية حال فان تحيتها تلك ، ورثاءها هذا ما هو الا نثر رديء من انتاج قريحة مصابة بالعي والكلال ، تتسابق مع تلاميذ المرحلة الاعدادية بل المرحلة الابتدائية . .

هذه هي الكاتبة في انتاجها .

ومن هنا الا يحق لنا أن نستدعي لها السيدة نفسها الناقدة ، لكي تنقد هذا العمل ، لننظر ماذا تقول . .

ماذا تقول في أمر سيدة جاوزت الخمسين ، وتزعم النقد ، ومع ذلك تحلم بأحلام الطفولة التي تدفع الطفل الى كتابة صحيفة كاملة ثم يقسمها نصفين ، ويفصل بينهما عن طريق المسح ليصبح شاعرا ما دام الشعر يكتب هكذا . هل تقول عن هذا اللون من الانتاج « هراء من جامعة عين شمس » حيث تعمل أستاذة للادب العربي فيها ؟ ؟ . .

واذا كان من الممكن أن تقول هذا ، فلماذا لم تقله عقب تحية بنت الجزائر التي نشرتها في نوفمبر من عام ١٩٦٢ ، أم أنها ترضى عن هذا اللون من نفسها من قبيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة . . .

هذه ناقدة تملأ الدنيا صراخا وعويلا في كل اسبوع في مقالها ، ومع ذلك لم تنتفع بأبسط مبادىء النقد الادبي . . ترى هل تتعاطف بعد ذلك مع المؤلفين أم أنها ستظل على طريقتها العرجاء . .

أما الناقد الذي نحن بصدد الحديث عنه ، فهو ناقد شاب كثير الدهاء ، واسع الحيلة ، لا يضيره أن ينسى أبسط مبادىء الانسانية التي يحتاجها فنان يزعم أنه كاتب . . دارس للاثار الفنية والادبية . . وهذا الناقد يزعم أنه اشتراكي في نقده وفي فهمه وفي فكره . .

وهو في نقده يحشد تعريفات ميتافيزيقية ، وتخريجات منطقية لا تشف عن مبادىء فنية ، بل تسبح أمام المخيلة في خليط غير محدود ، وينظر الانسان في ضيق وعدم مبالاة الى جوهرها الناقص ، والى المحاولات اليائسة التي يجريها هذا الناقد لادخال كل هذا الخليط الرائع في عمل واحد لمؤلف واحد ، ثم يصدر بعد ذلك حكما مقتضبا في النهاية لا يتسم الا بعدل ضئيل .

ولقد تصدى هذا الناقد (١) لمهرجان الشعر بالنقد ، فلم يخرج عن طبيعته ، وانما أعطانا كل الادلة التي تثبت اهتزازه النفسي وقلقه واضطرابه ، ذلك لانه لم يتعرض لمهرجان الشعر بالنقد في مقالته الطويلة الا في سطور تنبيء عن جهله بحقيقة الشعر والتخبط في فهمه ، بالرغم من أنه كان آخر انسان تعرض للمهرجان بالنقد . . .

ومن هنا جاءت مقالته سبابا وشتائم لا ينتظر منه غيرها ، اذ انه في هذا الضرب أصيل ، صادق مع نفسه ومع مزاجه الفني وطبعه الذي يستوحيه .

وبالتالي كانت المقالة موضوعة تحت عنوان عريض « مهرجان بلا شعر » في الوقت الذي لم ينل المهرجان نقدا يذكر ، وانما أفرغ كل ما في جعبته من حقد وحسد ، وآمال في التسلق الى الوظائف القيادية حتى ولو ترتب على ذلك تمنيه للعقاد بالموت تارة . . وبابعاده عن مجلس الآداب والفنون ليأتي كبيره الذي يعلمه سحر هاروت وماروت ، ويأتمر بأمره في ميدان الادب والنقد . ولقد رد على هذا المقال المتهافت الصديق «الحساني حسن عبدالله»، (٢) ففند حججه واحدة واحدة ، حتى أبطلها من أولها الى آخرها .

بيد أننا لا نقول ان العقاد فوق مستوى النقد ، وانما

(١) الاهرام (الجمعة ٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٣) ص ١٣

(١) الآداب يناير ١٩٦٣
(٢) الآداب فبراير ١٩٦٣

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

نقول اننا نرحب بالنقد البناء ... الموضوعي ، وليس أدل على ذلك من أنني أخذت في نقدي لمهرجان الشعر على العقاد (١) مآخذ أهمها اختيار الشعر ، وطالبت بغربلته قبل طبعه ، ولقد استجاب المسؤولون في مجلس الآداب والفنون لمطالبتنا هذه وكونوا لجنة لاختيار الاشعار الجيدة لطبعها .

كما نقدت أحد أعضاء لجنة الشعر نقدا صريحا ، وهو من أصدقاء العقاد المقربين ، ولم يغضب العقاد لذلك ، ولم نرجع نحن عن النقد لان العقاد فوق مستوى النقد .. بل قمت بنقده من حيث الابحاث والاشعار التي قيلت فيه ، في بحث طويل . ولسنا ندري في هذا المقام هل هذا الناقد يمكن أن نطمئن لآرائه النقدية فيما يتناوله من أعمال أدبية؟؟ لا نظن ..

ثم أليس هذا التخبط في نقد هذا الشاب ، وتلك السيدة دليلا على اثر القبلية في نفوس نقادنا الذين ينتمون الى جماعات ، أولى بها أن تسمى قبائل . وقد يقال ان هؤلاء النقاد لم يصنعوا أكثر مما صنعه نقادنا السابقون الرواد كما تزعم ؟ ؟ اذ أنهم كانوا يختصمون الموضوعية في نقدهم ، وكان نقدهم عبارة عن سباب وشتائم مشوب ببعض المبادىء النقدية ..

وأبادر فأقول أنني لا أوافق على هذا بجملته ، ولا أنفيه بجملته ، وانما أوافق على جزء منه ، وهو العنف في المعالجة ، وذلك كما حدث في نقد العقاد لشوقي في كتابه « الديوان في الادب والنقد » (٢) وقد أثبت ذلك في حديثي مع العقاد عن النقد والنقاد ، اذ اعترف العقاد نفسه فيه بأن هناك باعثا شخصيا ردا على مكايد شوقي وأحابيله له ..

كما أنفي جزءا منه وهو عدم الموضوعية في النقد على اطلاقها ، اذ أن نقد العقاد وأصحابه وأترابه ولداته من الرواد كان نقدهم موضوعيا الى حد ما . ولنفرض أن نقدهم يفتقر الموضوعية ، فانما كان ذلك في أول هذا القرن ، ولقد تقدم بنا الزمن ، وتغير الحال بعد الحال ، وأصبحنا انسانيين في كل شيء فلماذا لا نكون انسانيين في الادب والفن ... ان العصر لا يسيغ أمثال هذه الترهات وتلك الاباطيل من نقادنا ...

* * *

ولنا أن نتساءل الآن ، هل يمكننا أن نخرج من اتجاهات هاتيكم القبائل النقدية ، باتجاه موحد نستطيع بعد ذلك أن نقول ان هذا هو مذهبنا في النقد والادب ؟ ؟

والجواب ببساطة لا ..

نعم لا .. لاننا ليست لنا فلسفة في اتجاهاتنا الادبية تساوق اتجاهنا السياسي ، ومن هنا ترى أدباءنا في كل واد يعمهون ، وكل له وجهة تختلف مع وجهة الاخر ...

ومن هنا كذلك ترى المذاهب الادبية التي عبرت مئات السنين في الغرب مثلا متمثلة عندنا في وقتنا هذا ، من أقدم مذهب فيها الى أحدث مذهب وفد الينا ..

أما أن يكون لنا مذهب خاص ، واتجاه انساني يلم شتات أدبائنا فهذا لن يكون ، الا بعد أن نتخلص من القبلية النقدية في مصر .

عبد الحي دياب

---

(١) الكاتب : «مهرجان الشعر الرابع» نوفمبر ١٩٦٢ ص ٩٨-١٢٠

(٢) مجلة «المجلة» ابريل ١٩٦٢ ص ٢٢ - ٣١ .

سلسلة الجوائز العالمية

صدر منها :

١ ـ المثقفون

رائعة الكاتبة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

الحائزة على جائزة غونكور الفرنسية

ترجمة جورج طرابيشي

في جزءين ـ ثمن الجزء ٧ ليرات لبنانية

٢ ـ السام

اخر رواية للكاتب الايطالي الشهير

البرتو مورافيا

وهي الحائزة على جائزة فياريجيو الكبرى

الثمن خمس ليرات لبنانية او ما يعادلها

٣ ـ ابك يا بلدي الحبيب

تصوير رائع للمأساة العرقية في افريقيا الجنوبية

تاليف الان بيتون

ترجمة خليل الخوري

الثمن ٤٥٠ قرشا لبنانيا

منشورات دار الاداب ـ بيروت